مَنكوش

رانية حسين أمين



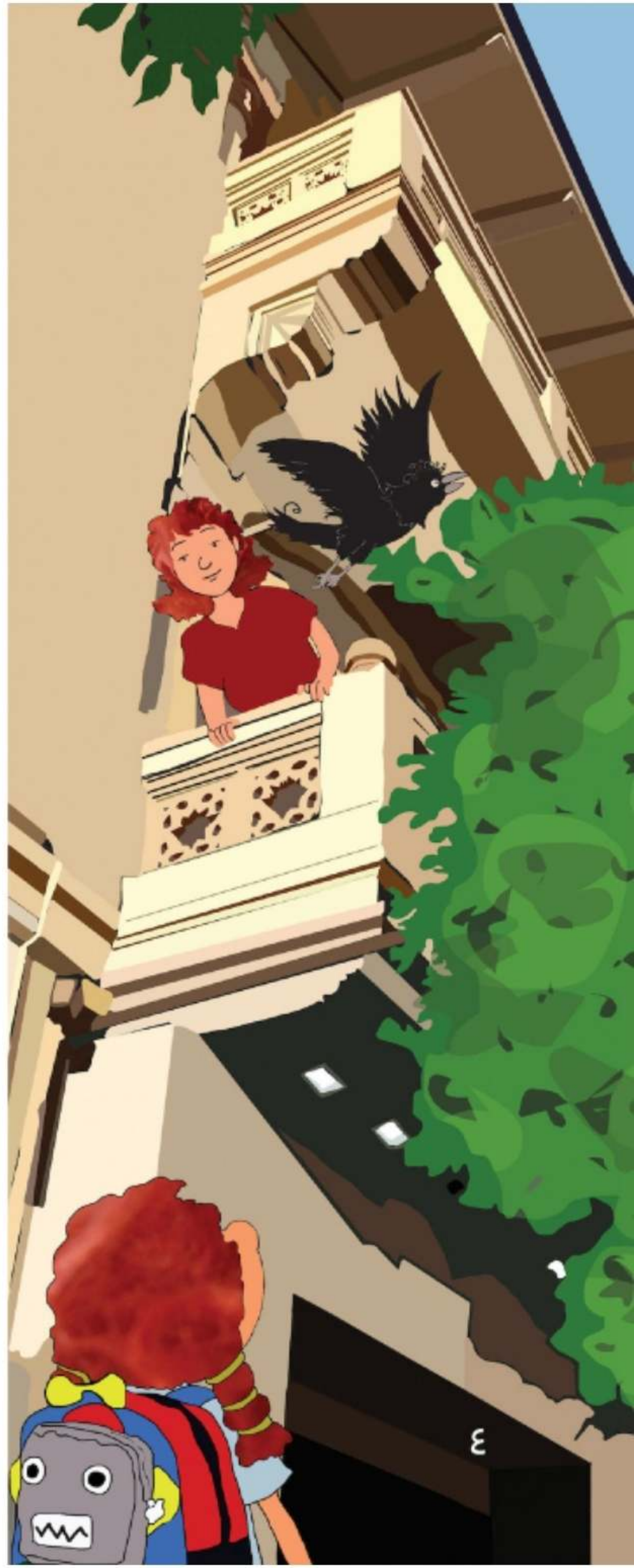
دار الشروق

مَنكوش

رانية حسين أمين

دار الشروق

كنت أنتظرُ أتوبيس
المدرسة فرأيتُ
غرابًا جميلًا.
خرجتْ ماما
إلى البلكونة لتطمئن
عليَّ... فطار الغراب.
نادَيْتُ عليها وقلت:
«ماما... يا ماما،
أنا رأَيْتُ غُرابًا ريشُه
مَنْكوش وكأنهُ صَحا
من نوْمِه ونسي
أن يُمشِّط شعره..
أقْصِد ريشه. أُحِبُ
هذا الغراب كثيرا».
قالت ماما، وكأنها لم
تسمعني: «الأتوبيس تأخر».
قلت: «أريد أن أُطعِمَ
الغِربان».
لكن ماما قاطعتني قائلة:
«لا يا ريم فإن أتوبيس
المدرسة على وصول».



في هذه اللحْظَة خَرَجَتْ طنط مديحة
إلى بلكونتها وصَرَخَتْ:
«لماذا كل هذه الضَوْضاء يا ريم؟
الساعة السادسة والنصف صباحا
وكل الناس نائمون».
تُخيفُني طنط أحيانًا،
فسكتُّ ونظرتُ إلى الأرض.



نظرتُ مرة أخرى إلى أَعْلَى
باحثةً عنه فَوَجَدْتُه واقفًا على الشّجرة.
اقْتَرَبَ مِني قليلًا. كنتُ أتمنَّى أن يَقْتَرِبَ
أكْثَر وأكْثَر، ثم جاءت لي فكرة:
أَخْرَجْتُ ساندويتش الجبن من شنطة
المَدْرَسَة وقَطَعْتُ منه قطعةً صغيرةً،
وَضَعْتُها على الأرض أَسْفَلَ الشجرة.
صرَخَتْ طنط: «**ماذا تفعَلين؟**».
قلتُ بصوتٍ منخفض:
«أُطعِمُ الغُر...».









ولكن طنط لم تُعطِ لي الفرصة
لاستكمال جُملتي وبدأت تُشَوح
بذراعيها وتصرخُ بصوتٍ عالٍ:











«إنها تُطعِمُ الغِربان! سوف تَجْمَعُ حوْلنا كل غِربان الحي!».
طارت الغِربان خوفًا من صوتِها.
استيقظ الجيرانُ على صَوْتِ طنط مديحة وفَتَحوا الشبابيك ليعرفوا سببَ الصراخ في هذا الوقت الباكر.
قالت: **«إنها تُطْعِمُ الغِربان!»**.
أغلقَ الجيرانُ الشبابيك مرة أُخْرَى غير مُهتمين بالموضوع.



عندما رَكَبْتُ أتوبيس المدرسة نَظَرْتُ
من الشُّباكِ. وَجَدْتُ غُرابي المنكوشَ يطيرُ إلى قِطْعَةِ الساندويتش
ووَقَفَ يأكُلَها.

ابتسمتُ سعيدة.

سَألَتْني سالي: «لماذا تَبْتَسِمين؟ لم أكن أتكلمُ مَعكِ. أنا أتكلم
مع جميلة».

قُلت: «لا، أنا أبْتسمُ لأن هُناك غُرابًا، كنتُ وَضَعْتُ لَهُ...».

ولكن قبلِ أن أنتهيَ من جُملتي اسْتَدَارتْ سالي لتُكْمِلَ قصتها
لجميلة. فَسكتُّ.



عندما طَلَبتْ منا ميس كريمة
رسمَ شيئ نُحِبُه، لم أتَرَدد؛ ورسمتُ غُرابي
المنكوش. كنت أفتقدُه وكنت أريدُ أن أراه أمامي.
ابتسمتُ لرؤية غُرابي على وَرَقَتِي وكتبْتُ اسمَهُ فوقَ الرسم.
«منكوش». نعم هذا اسمُ صديقي الصغير.
سَألَتْني ميس كريمة: «لماذا غُراب؟ ارسمي قِطةً أو وَردةً.
ارسمي شيئًا جميلًا».
قلتُ لها: «أنا بالفعلِ أرسمُ شيئًا جميلًا».
ضَحِكَت المُدرسة فَشَعُرْتُ بالخجلِ مما قُلتُ.

وَضَعتُ رَسْمتي
في شَنطتي.
لا أريدُ أن يَراها أحد.



في وقت الفُسْحة اشْتَريتُ من الكافتيريا كيسًا من الفولِ السُّوداني وقُلتُ لأصحابي في حَماس: «هذا ليسَ لي، إنه طعامٌ لغُرابي، فأنا أريدُ إطعامَه وأتمنى أن يُعجبَهُ هذا الطعام».



قالت سما: «أعْطيني بَعضًا مِنْهُ إذا سَمَحتِ». أعطيتُها القليلَ وأعطيتُ عُمَر القليلَ أيضًا وكنتُ أريدُ أن أحكي لَهُما عنِ الغِربان ولكن سَما ظَلَّت تحكِي عن حفلِ عيد ميلادِها حتى انتهتِ الفُسْحةُ وعُدنا إلى الفَصل.

بعد نهايةِ اليومِ الدراسي كانت
مُفاجأة سارة عَندما نَزلتُ من الأتوبيس
ووَجَدْتُ الغِربانَ على الشجرِ أمام مَنزلي..
نَظَرْتُ بطرفِ عيني نحو بلكونة طنط مديحة
وحَمَدْتُ ربَّنا أنها لم تكُن هناك.
جَلَسْتُ على الرصيفِ
ونظرتُ إلى أعلَى.

صاحَ أحدهم: «آآك آآك»، فصاحَ
الآخَرُون: «آآك آآك آآك»
وبدءوا يَطيرُون فَوقِي.
وأخيرًا تَشجَّعَ أحدُهم واقتربَ مني ببُطءٍ
ثم التَقطَ حَبَّةً من يدي وطارَ سريعًا.
واضح أنه شجَّعَ باقي الغِربانَ فاقتربوا
واحدًا وراءَ الآخرِ ليأكُلوا مِن يدي.
وشَعْرتُ بالسعادة.

ولكن...









كنتُ مُفتقدةً صديقي.. بحثتُ عنه ولم أَجده.
ثم نظرتُ إلى يساري وكانتِ المُفاجأةُ السعيدةُ
عندما رأيتُه آتِيًا من بعيدٍ يَقْفِزُ قَفَزاتِه المُمَيَّزة.
ضَحِكْتُ ومددتُ له يدي فَقَفَزَ على ذراعي
وشعرتُ بمخالِبِه تَلْتَفُ بقُوةٍ حولَها.
نظرَ إليَّ وقابَلَتْ عَينُه عَيني
وعرفتُ أنه أحبَّني كمَا
أحببتُه تمامًا.



«ما هذا؟ ما هذا؟
ريييييممممم!!!!».
خافَ الغُرابُ من صُراخ طنط مديحة فطارَ بعيدًا. نَظَرْتُ إليها في غضب.

قالت: «أنتِ السبب! لقد جمَعتِ حَوْلنا الغِربان ولن نستطيع أن نتخلصَ منهم بسهولة!
هل أنتِ سعيدةٌ الآن؟».
لم أُجِبها.
قمتُ من مكاني مُتجهةً نحو بَيْتي.



في البيت فكرتُ أن أحكيَ لماما وبابا عما حدثَ في الشارع.
هل أحكِي عن مُشكلتي معَ طنط مديحة؟
هل أحكي عنْ منكوش وحُبي له، وحُبه لي؟
هل سيفهمان؟
قبلَ أن أفتحَ فمي لأبدأ الحَكي دقَّ جرسُ الباب.



عندما فَتَحَتْ ماما البابَ فُوجِئَتْ بطنط مديحة تدخلُ شَقَّتْنا وهي تصرُخ:

«هل هذا يَصِحُّ؟ ابنتُكما تجلسُ على الرصيف وتُطعم الغِربان!! هل هذا يَصِحُّ؟».

نظرَ بابا وماما إليَّ ثم إلى طنط مديحة وسَأَلَها بابا مُتَعَجِّبًا: «غِربان؟».

قالت: «نعم»، لقد جَمَّعَتِ الغِربانَ في مَنْطِقَتِنا ونحنُ لا نُريدُ غِربانًا هنا!».

لا أعرفُ من أين أَتَتْ شَجاعتي، فجْأةً وَجَدْتُ نَفسي أسأَلُ جارتي في هُدوءٍ وأدب:

«لماذا لا تُريدينَ الغِربان في مَنْطِقَتِنا يا طنط؟».

صرختْ: «لأن شكلَهم قبيحٌ وصوتَهم قبيحٌ».

شَكَرتْ ماما طنط على زيارتها وقدمت لها كعكة فواكه، ولكن طنط مديحة خَرَجَتْ غاضِبة.





عُدْتُ إلى حُجرتي وفتحتُ شُباكي على أملِ أن أجدَ أصدقائي.
وفرحتُ كثيرًا عندما رأيتُهم على الشجر.
بَحَثْتُ عن منكوش، ولكني لم أجِدْه.
هو مُختلفٌ عن باقي الغِربان؛ ولذلك كنتُ مُتأكدة أنني سوفَ أجدُه في مكانٍ غير مُتوقع، وكنتُ على حق.
كان يأخذُ حمَّامًا في بِركَة ماءٍ صغيرة في حوشِ مَنزلنا.
ضَحِكْتُ وناديتُ عليه: «منكوش».
نظرَ إليَّ وخُيِّل إليَّ أنه فرحَ لرُؤيتي.



جريتُ إلى المَطبخ وسلقتُ بيضتَيْن.
سألني بابا: «هل ما زِلْتِ جائعةً يا ريم؟».
قلتُ: «هاتان ليستا لي، بل لغُرابي».
أخذ بابا البيضتَيْن مني ووضعهما في الثلاجة. «لا يا ريم. اترُكِيهم يأكلونَ ما يَأكلُونه كلَّ يوم».
قلتُ مُتَرَجّية: «ولكن يا بابا، أُريدُ أنْ أكسبَ صداقتهم..».
أعطاني بابا قُبلةً وخرجَ من المطبخ دونَ أن يُجيبني.
أخْرَجْتُ كيسَ الفول السوداني وَوَضَعْتُ القليل من الحبَّات على الشُّباك. انتظرتُ وانتظرتُ ولكن منكوش لم يأتِ.
عندما تَعِبتُ من الانتظار قررتُ أن أُسلي نفسي بالرَّسم.





كنتُ أرسمهُ عندما
سمعتُ صوتَ
أجنحةٍ بالقُربِ
من شُباكي.
نظرتُ إلى أعلى
فَوَجَدْتُ منكوش
يهبطُ على عتبة
الشّباكِ وينظرُ
إليَّ من وراء الزُّجاج.



ضحكتُ وفتحتُ شُباكي في سَعادة.
كنتُ أُريدُ أنْ آخُذهُ في حضني، ولكني تراجعتُ حتى لا يخاف.
بدأ منكوش في أكلِ حبَّات الفول السوداني.

عندما وَقَعَتْ منه آخرُ حبَّة في خُرم
صغير في عَتَبَةِ الشُّباك حاول إخراجَها
بمِنقَاره وفَشَل. قَرَّرْتُ أن أساعِدَه.
دَخَلْتُ إلى الحجرة باحثةً عن أَيّ عصا
رفيعة لأُخرِجَ الحبَّة من الخُرم، وعندما
عُدتُ وجدتُ في مِنقاره فَرعَ شجرة
رفيعًا جدًّا وبحركةٍ سريعةٍ وبدِقَّة غريبة
أخْرجَ منكوش الحبَّة ثم أكلها. لم أُصدِّق
ما رأيت. حقًّا الغرابُ بالفعل مِن أذكى
الحيوانات وأذكى طائرٍ على الإطلاق.





مَدَدْتُ يدي ببُطءٍ حتى لا أُفْزِعَهُ وَوَضَعْتُها على رأسِه،
وَبَدأْتُ أُطبطِب عليه، فأغمضَ عينَيْه في سعادة.



عندما نادتْ عليَّ ماما
قلتُ لمنكوش:
«سأراكَ غدًا»،
وكنتُ مُتأكدة أنه
سوف يحضرُ بالفعل.

لَخْبَطْتُ رِيشَهُ مرةً أخرى
حتى يَعودَ منكوشًا بعد
طبطبتي على رأسه فقدْ أحببتُه
مَنكوشًا وأُريدُه أن يبقى هكذا.
ثم طارَ صديقي وأغْلقْتُ
الشُّباكَ وجريتُ إلى ماما
لأحكي لها ما رأيت.

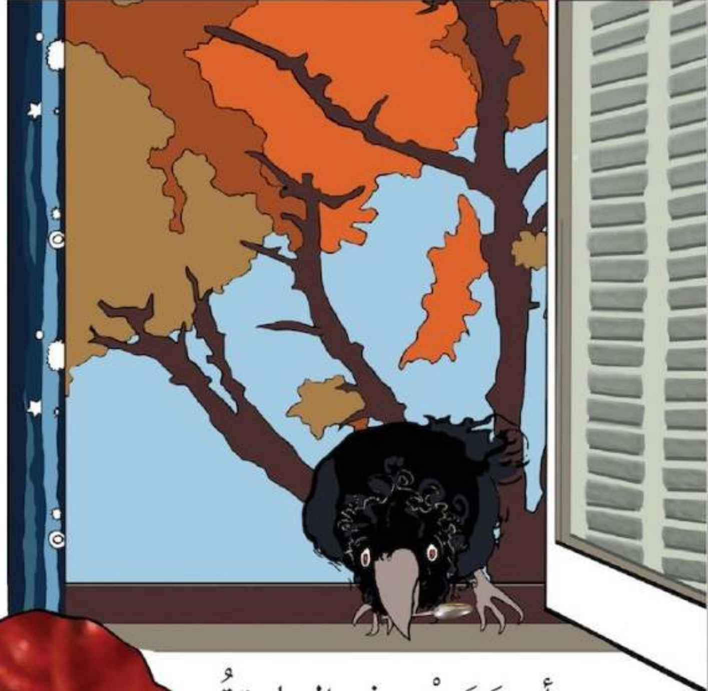


في هذه الليلة شَعَرْتُ بالوِحدة.





في اليوم التالي عندما فَتَحْتُ عينيَّ
رأيتُ منكوش يَطيرُ من بَعيدٍ وهو يَحملُ
شيئًا لامِعًا في مِنقاره، ثم يضعُه على عَتَبةِ
شُباكي ويرحلُ مرة أخرى.



جَرَيْتُ إلى الشُّباك
فَوَجَدْتُ مِلعقةً قديمةً
ومَكسورة، فلم أفهمْ
لماذا أتى بها منكوش
إلى هُنا.
وفجأة تذكَّرتُ أن
الغِربانَ تأتي بهدايا لِمَن
يُحبونهم ودائمًا يأتونَ
بأشياءَ تبرقُ وتتلألأ.



أصبَحَتْ هذه الملعقةُ
القديمة أقيَمَ هديةٍ
حَصُلْتُ عليها
في حَياتي.

لَمَحْتُ طنط مديحة
واقفة في البلكونة، تَنْظُرُ
إلى العالم في غَضب.
هل هُناك في حياةِ طنط
ما تُحبُّه؟



أما أنا، فَجَلَسْتُ
أتأملُ مِلعَقتي
ولم أَتوَقَّف عن الابتسام.

بالأمس كُنت حزينةً لأنْ لا أحد يهتمُّ
بغُرابي ولكني لم أَعُد حزينة؛ فهدية
منكوش جعلتني سعيدةً حتى إنني
رَقَصْتُ في حُجرتي.

قُمتُ لأستعدَّ للمدرسةِ،
قُلتُ لنفسي:
سوف أتوقفُ
تمامًا عن الكلام
عنِ الغِربان.
فلا أحدَ يهتمُّ
بهم غَيْري.





اليومَ كان هو المُحددَ لعَرْضِ شيءٍ نُحبه على الفَصل. اختار شريف أن يَحكي لنا عن هاتِفِه، وعَرَضَتْ سلمى فستانَ سَهرةٍ جَميلًا، وحَكَتْ لنا نُهى عن عروسَتِها المُفضّلة. ثم جاء دَورِي أنا.



كنت أنوي عرضَ قَلمِي المُفضَّل، ولكن لا أدري لماذا أخرَجْتُ بَدلًا منهُ الملعقةَ القديمة المَكسورةَ وبدأتُ أحكي عن منكوش.

حكيتُ عن كل ما أحببتُه فيه...



عندما انتهيتُ فُوجئتُ بميس كريمة تُصفق لي،
وكل الأولاد والبنات أيضًا.





سَألوني أسئلةً كثيرةً عن منكوش فحكيتُ أكثر.

قَرَّرْتُ أن أحكيَ
عنه لبابا وماما
عندما أعودُ
إلى البيت.





ويومًا ما سوفَ أحكي
لطنط مديحة. ربما أنجحُ
في أنْ أجعلَها تَبتسِمُ.
مَن يدري؟

منكوش

قصة ورسوم: رانية حسين أمين

/dar.elshorouk

/Darelshorouk

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

٧ شارع سيبويه المصري- مدينة نصر - القاهرة

حسين أمين، رانية
منكوش/رانية حسين أمين
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٢٠
٣٢ ص، ٢٤ سم
تدمك ٩٧٨٩٧٧٠٩٣٦٦٣٤
رقم الإيداع ٢٠٢٠/١٣٥٨٨
١- القصص العربية
أ. العنوان ٨١٣